رئيس التحرير المسؤول
العميد منير عقيقي

دويلة لبنان

الحديث عن وجود دويلة او دويلات في لبنان صار يستدعي كثيرا من البحث الذي تفرضه وقائع البلد الجيوبوليتيكية. ذلك ان لبنان منذ زمن بعيد لم يعد دولة. تخلى عن فكرة الدولة:
يوم سكت عن اعطاب طبيعته الدستورية والبرلمانية في محيط شمولي وقمعي.
ويوم قبل بصيغة لا غالب ولا مغلوب.
ويوم وقّع اتفاق القاهرة.
ويوم ارتضى ان يحمل كل من المسلمين والمسيحيين السلاح في وجه بعضهم البعض.
وايضا وايضا يوم قبل بقضايا اليمين واليسار، تلك التي حاولت نقله غربا، وغيرها الذي عمل لنقله شرقا.
وحين قبل بالخروج على الاجماع العربي وتنكّر للشرعية الدولية قديمها وحديثها.
لم يعد لبنان ذاك البلد الذي نشدناه دولة. صارت الدويلات فيه، وهي كثيرة بتعدديتها الحضارية والثقافية والدينية، دولا اقوى منه، وصار هو ويالاسف الدويلة.
صار دويلة مع السلاح الفلسطيني. وكذلك مع الاحتلال الاسرائيلي. ثم يوم عُهدت ادارته الى الخارج الاقليمي بموافقة عربية ودولية. وكذلك يوم صارت "المقاومات" المتنوعة فيه اقدر على الدفاع عنه من جيشه الوطني.
كل هذا، وفيه ما فيه من دويلات فلسطينية، تبدأ بعين الحلوة ولا تنتهي بقوسايا مرورا بالناعمة والبرج الشمالي ومخيم الجليل ومخيمي صبرا وشاتيلا... ومن قبل هذا ومن بعده، تفتت الى اقل من دويلة في ظل لجوء ونزوح سوريين يفوق عددهم قدرة البلد على الاحتمال، مع وجوب الاعتراف بحساسية ديموغرافية تطاول الجميع من دون استثناء.
والى المعنى السياسي لثقل النزوح واللجوء السوريَّيْن، هناك المضمون الاقتصادي والاجتماعي الذي يستنزف قدرات دويلة لبنان المحدودة في كل شيء: التعليم، الصحة، الاستشفاء، الانتاج، فرص العمل، البيئة والبنى التحتية. صحيح ان ما من بلد الا ويحتاج الى يد العمل الاجنبية، لكن ما لا يُطاق هو وجود كتلة سكانية تفوق قدرة الدويلة اللبنانية على الاحتمال في الجغرافيا والانتاج والاستهلاك، والتي ستؤدي حتما الى ما لا يحمد عقباه.
لبنان صار دويلة منذ زمن تقاتل فيه اللبنانيون على نقله بين الشرق والغرب قبل ان يستقر بهم الامر على شطره الى نصفين. واصبح كذلك منذ حلف بغداد وصولا الى اتفاق القاهرة. ومنذ كان بلد مساندة في الصراع العربي الاسرائيلي، فتحوّل الى بلد مواجهة لا تتوقف، ولم تتوقف حتى الساعة، ولا يعلم الا الله متى ستتوقف.
الذين يعتقدون ان لبنان هو دولة ناجزة تنتمي الى عصبة الدول التي اقامتها الحضارة الرأسمالية، صار لزاما عليهم اعادة النظر في ما يفكرون ويعتقدون متى ابتعدوا عن المشهد العام للتبصر في احوال البلد، لا بل اهواله التي يعيشها اللبنانيون، وبما هو آتٍ عليهم في ظل "طبقات سياسية" لا يوجد بينها حتى سلام، او اي نوع من انواع الكلام.
وجوب قراءة الدويلة اللبنانية يمكن ان يكون من اي زاوية يتخذها المواطن ليتبصر في احوال البلد. يكفي الآن اننا على طريق الوصاية الدولية في رزمة الاصلاحات المتعددة، واعادة هيكلة المصارف، والتوجه الاقتصادي والنقدي. يكفي للتيقن بواقع الدويلة ان ننظر إلى مستويات الانحدار الحر التي نسلكها في كل مقومات الحياة من تعليم وصحة وتجارة... وحدود سائبة ومستباحة، وعربدة اسرائيلية برا وبحرا وجوا.
في بلد تتحكم فيه كل معايير التوظيف السياسي والإنتخابي والطائفي، وتدير بعض قطاعاته مافيات الفساد في غياب تام وشامل ودائم للهيئات الرقابية والتفتيش، ويتضخم فيه القطاع العام حتى الانفجار، لا يحتاج المرء الى عناء تفكير وعميق جهد ليكتشف ان لبنان صار دويلة، ولم يعد الدولة التي حلم بها اللبنانيون.

إلى العدد المقبل